ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6099) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (2) آذار 2026

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

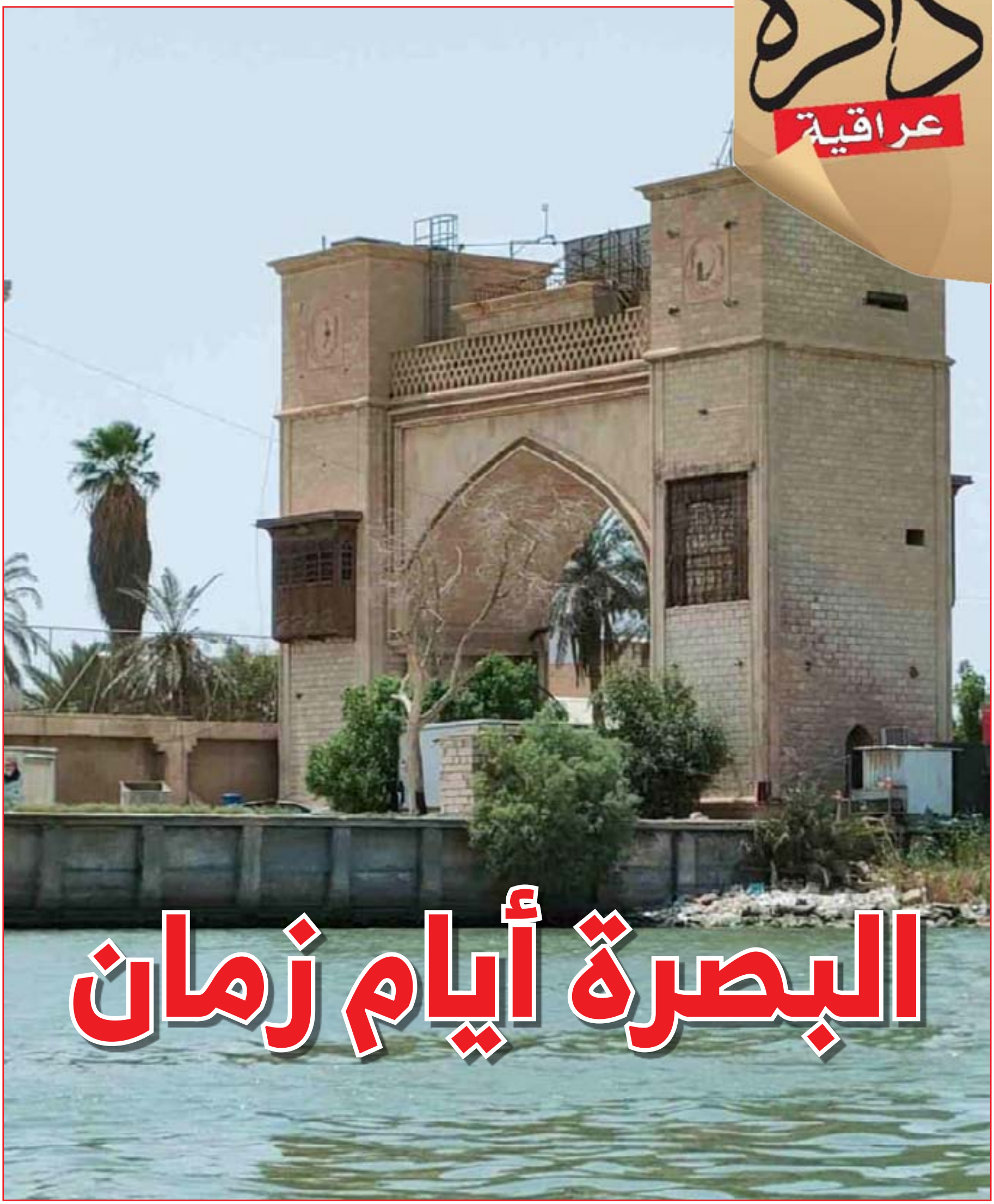

البصرة أيام زمان

رياضة الزورخانة والمقام العراقي

د. حسين اسماعيل الاعظمي

تميّز العراق بتاريخ وموقع جغرافي خاص. لم يتشابها تماما مع تاريخ وجغرافية وثقافة جميع البلدان حواليه، سواء أقطار الوطن العربي الكبير، او بلدان الغرب الاسيوي، وعليه أمسى العراق مميزا حقا في كل جوانب حياته الجغرافية والاجتماعية والتاريخية. فموقعه الجغرافي في أقصى المشرق العربي يجعله مميزا بعمقه العربي الإسلامي، خاصة وقد كانت بغداد مركز الخلافة العربية والإسلامية لـ ٥٢٤ سنة (هي حصيلة ما بين سنة ١٣٢ هجرية سنة التأسيس، وعام ٦٥٦هـ تاريخ سقوط بغداد على يد المغول) وذلك امتدادا للدولة العربية الإسلامية التي بناها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، ودامت فيها احد عشر عاما، ثم انتقلت الخلافة الى الخلفاء الراشدين لأكثر من ثلاثين عاما في الحجاز، ثم انتقلت الى الشام عن طريق الامويين ودامت اكثر من تسعين عاما استقرت اخيرا في بغداد لتبقى فيها أكثر من خمسة قرون حتى سقوط العباسيين (٦٥٦هـ -١٢٥٨م)..

كذلك موقع العراق المطل على الغرب الاسيوي جعله مميزا بتأثيرات تلك المنطقة على مدى تاريخ المنطقة وعلى الأخص بعد سقوط العباسيين؛ أي أنه يقع في موقع جغرافي يكاد يكون في منتصف الطريق بين الوطن العربي وغرب آسيا، ما جعل هذا المزج الجغرافي والتاريخي أمرا في غاية الأهمية لحياة أبناء هذا البلد التاريخي الغائر في القدم. وفي أكثر من كتاب من كتبي الصادرة كدراسات فنية في موضوع الموسيقى والمقامات العراقية، تحدثتُ عن هذه الميزة بشيء من الإسهاب والتفصيل، وعلى الأخص انعكاسات البيئة والخصوصية الناتجة عن هذا الموقع الجغرافي وهذا التاريخ وهذه الثقافة المميزة عن باقي البلدان حواليه. وعليه نلاحظ الكثير من تفصيلات حياتنا فيها بعض المميزات مع اشقائنا العرب الآخرين، بحيث يكون لنا نحن كعراقيين خصوصية واضحة عن اقطار الوطن العربي في كل ما يشمل الحياة الاجتماعية وتبعاتها، رغم العمق العربي والإسلامي اللذين يتمتع بهما العراق. ونلاحظ أيضا بعض التشابه في بعض جوانب الحياة مع أقطار الغرب الآسيوي، أذا ما علمنا أن حدوداً أكثر من بلد في الغرب الآسيوي، ولا أعتقد أنها ملك لبلد معين دون الآخر، وإنما هي ملك لشعوب بلدان غرب آسيا. ودليل ذلك ادعاء كل البلدان التي تمارس فيها الموسيقى أو رياضة الزورخانة بأن هذه الممارسات والاستخدامات من تراثياتها الفنية أو الرياضية أو جوانب أخرى..!

رياضة الزورخانة، التي تتكون من كلمتين: زور وتعني القوة وخانة وتعني بيت أو البيت الصغير، وفي جمعهما تتحقق كلمة واحدة –بيت القوة- عبارة عن ممارسات وحركات رياضية تقليدية مارسها أبأؤنا وأجدادنا، وأمست بالفعل رياضة تراثية ينبغي المحافظة عليها وممارستها دون انقطاع. فمن الناحية التاريخية والتراثية، يمكننا أن ندعي كما تدعي شعوب البلدان الأخرى في غرب آسيا، بأنها من تراثيات الشعب العراقي نظراً لقدم ممارستها.

إن ما يهمنا هنا عن الزورخانة، أن موسيقى وغناء المقامات العراقية ترافق ممارستها وعروضها الرياضية الزورخانية، تشجيعا للاعبين الرياضيين عند تقديم عروضهم أمام الجماهير، وخلق المزاج والاستعداد لتحمل مشاق بعض الألعاب الزورخانية خلال العرض. وقد اجتاحت هذه الممارسات الرياضية الزورخانية في العراق طيلة القرون الأربعة الماضية تقريبا، على نطاق عفوي شعبي واسع دون تدخل الدولة في دعمها وتقديمها. واستمر الأمر في سيادة هذه الرياضة الشعبية حتى النصف الأول من القرن العشرين. وقد كان أشهر الرياضيين الزورخانيين العراقيين عباس الديك ومجيد لولو وعوسي الأعظمي وصادق الصندوق وعبد الهادي البياتي ومهدي الزنو وحسن نصيف الجميلي ومحمد

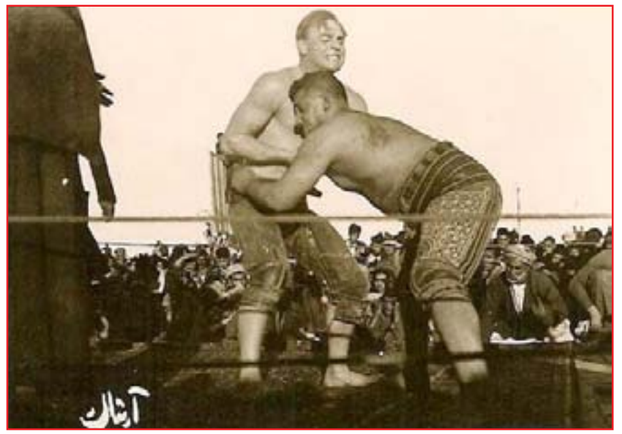

أسطة بريسم وغيرهم. وفي غالب الأحيان، يتكون فريق الزورخانة من عدد يصل إلى ١٥ لاعبا زورخانيا، وأحيانا يتجاوز هذا العدد حسب الظروف والإمكانيات. وفي طقوس عروضها الشعبية والجماهيرية الخاصة في الصراع يُمنع دهن الجسم، ولا يجوز النطح بالرأس، وعدم رفع الخصم ورميه بالأرض، وعدم السماح بإذاية المصارع بالمسكات المؤدية للخلع أو الكسر.

للاعبي رياضة الزورخانة ملابس خاصة ذات زي موحد (قميص عادي وسروال قصير ذو نقوش تاريخية خاصة). وتقوم رياضة الزورخانة بصورة عامة على تمجيد قيم الفتوة والأخلاق الرفيعة. أما الأدوات التي يستخدمها اللاعبون عند العرض فهي:

(السنك) ويعني الحجر. ويكون على شكل قطعتين خشبيتين ثقيلتين بطول ١٢٥ سنتيمترا وعرض تسعون وبوزن يتراوح بين ٦٠ الى ٨٠ كغم، وبعرض بوصتين، على شكل الدرع –الترس- يحملها اللاعبون للتمرين والاستعراض.

الكباذة، وتعني (القوس). وهي آلة حديدية شبيهة بخشبة القوس تحيط بها سلسلة حديدية تحوي حلقات يلعب بها المصارع المحترف فقط بجعلها تدور حول رأسه بسرعة فائقة بحركات شبه دائرية خطرة.

الميل، ويعني (الهراوة). و "الأميال" هي آلة خشبية أشبه بثمرة "الكمثرى" وهي ذات مقبض على قدر كف الذراع ولها أوزان مختلفة تصل لعشرات الكيلوغرامات مطعمة بالرصاص. ويحمل اللاعب اثنين أو أكثر من الأميال ويبدأ برميها كما في ألعاب الخفة.

خشبة الضغط. لعملية "الشناو" بطول سبعين سنتيمترا وترتفع عن الأرض عشرة سنتيمترات لممارسة التمارين لمنطقة الصدر.

تعتبر رياضة الزورخانة في نظر لاعبيها والجماهير، وقد هدمت بناية الحبس وشيدت مكانه بناية جديدة لوزارة الداخلية وماتزال آثارها باقية التي اتخذت فيما بعد متصرفية بغداد، كان مدخلها من شارع السراي (وتلقت متصرفية لواء بغداد بعد ذلك الى بنايتها الجديدة مكان المدرسة الرشدية الملكية، في شارع لسراي ايضا)..

بناية القشلة:

شيدت بناية القشلة وكانت تسمى (بياده قشلة سي) اي ثكنة المشاة، في زمن والي بغداد للمدة الثانية محمد نامق باشا في سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١م) ولم يكملها، واكملها من بعده

بين سراي الحكومة وشارع المتنبي.. مشاهد وذكريات

سالم الالوسي

في مقابل باب السراي، ومقابل بناية الشرطة العامة سابقا تقع بناية مديرية الاوقاف العامة وهي من المباني التراثية الجميلة التي شيدت في مطلع الثلاثينيات على الطراز العمراني الحديث، وهي اليوم بحالة يرثى لها.

مرقد كنج عثمان:

يقع هذا المرقد قرب سراي بغداد، دفن فيه المقاتل (كنج عثمان) وكان جنديا شجاعا تروى عنه الكثير من القصص والاساطير ايام الحروب القائمة بين العثمانيين والايرانيين، توفي شهيدا سنة ١٠٤٠ هـ ونقل نعشه الى بغداد ودفن في شارع السراي وعرف بـ (كنج عثمان) اي الشاب عثمان. وقد بنى فوق قبره قبة واقيم ايوان للصلاة، وفي سنة ١١٣٣ هـ جدد المكان حسن باشا والي بغداد وكتب على الواح القاشاني في شباك المرقد الاتي: ("ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، رئيس الشهداء كنج عثمان، قد عمر هذا المكان صاحب الخيرات حسن باشا سنة ١١٣٣ هـ") وفي المرقد سقاية، وقد حدث حريق عام ١٣٢٤ هـ اتى على المرقد فعمرته مديرية الاوقاف في سنة ١٣٢٤ هـ، وفي عام ١٣٣٣ هـ امر والي بغداد خليل باشا بهدم رباط الجندرمة ومرقد كنج عثمان المجاور له لتوسيع الطريق وابقى على القبر، وفي سنة ١٩١٧ قامت قوات الاحتلال الانكليزي بازالة القبر وسوي بالارض واصبح ضمن قاعة الطريق امام مدخل السراي.

قشلة الضبطية:

تقع بناية السراي الى شمالي بناية قشلة البيادة (اي المشاة) ويدخل اليه من باب كبيرة رصينة البناء تعلوها قبة، وما تزال على واجهة هذا الباب الطغراء العثمانية، وفي ساحة السراي كانت تقام مراسيم تعيين الولاة وقراءة الفرامين بهذا التعيين ومنحهم الصلاحيات. وكان هناك جدار يفصل بين بناية القشلة وسراي الحكومة، وقد هدم هذا الجدار الفاصل عند تأسيس المملكة العراقية وشيدت مكانه بناية حديثة الطراز اتخذت مقرا لرئاسة الوزراء، ويقع بيت الوالي في الجزء الشمالي من السراي وقد اتخذ هذا البيت مكانا لوزارة المعارف في العهد الملكي.

وزارة الداخلية: (حبس الاوردي)

كان مكانها (حبس السراي) ويقع مقابل جامع السراي، وقد هدمت بناية الحبس وشيدت مكانه بناية جديدة لوزارة الداخلية وماتزال آثارها باقية التي اتخذت فيما بعد متصرفية بغداد، كان مدخلها من شارع السراي (ونقلت متصرفية لواء بغداد بعد ذلك الى بنايتها الجديدة مكان المدرسة الرشدية الملكية، في شارع لسراي ايضا)..

بناية القشلة:

شيدت بناية القشلة وكانت تسمى (بياده قشلة سي) اي ثكنة المشاة، في زمن والي بغداد للمدة الثانية محمد نامق باشا في سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١م) ولم يكملها، واكملها من بعده والي بغداد مدحة باشا واقام في ساحتها من جهة النهر ساعة دقاقة لايقاظ الجنود ولضبط اوقات التدريب وذلك في سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨م). شيدت القشلة على الضفة اليسرى من دجلة، وكانت ارضها قديما موقع المدرسة الموفقية في العصر العباسي، (دليل خارطة العراق ص١٣٨). وفي العقد العثماني عرفت المحلة بمحلة جديد حسن باشا، التي حلت محل المحلة القديمة المعروفة بـ (محلة شاه قولي) (معالم بغداد، ص ١٩). شيدت القشلة على هيئة مستطيلة من الشمال الى الجنوب بطول ١٨٢ متراً وعرض ٦٠ متراً، والدخول اليها من بابين، الباب الرئيس الكبير من الضلع الشرقية للبناية، والثاني من الضلع الجنوبية.

وقد حفلت بناية القشلة بحوادث تاريخية منها ان الجيش البريطاني بعد دخوله بغداد سنة ١٩١٧ رفع العلم البريطاني فوق ساعة القشلة، وفي ساحة القشلة جرى تنصيب الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق، وعند تأسيس المملكة العراقية اتخذت البناية مقرا لعدد من الوزارات والادارات مثل وزارة المالية ووزارة العدلية ومديرية الطابو العامة والمتحف العراقي عام ١٩٢٢ التي شغل غرفة في اقصى الضلع الشرقي من الطابق الارضي الى عام ١٩٢٦ فانتقل الى البناية التي كانت مدرسة الحقوق في شارع المأمون.

جامع السراي (جامع الملك):

يقع هذا المسجد الجامع مقابل باب السراي، وهو من المعالم التاريخية في رصافة بغداد وقد اطلقت عليه عدة اسماء، كان اقدمها اسم (الجامع السليماني) نسبة الى السلطان سليمان القانوني عند احتلاله بغداد في سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) حين وجده مسجداً صغيراً فعمره، وبعد مدة قام والي بغداد حسن باشا (١١١٦ – ١١٣٥ هـ) بتجديده وتوسيعه فسمى بـ (جامع جديد حسن باشا) للتفريق بينه وبين جامع الوزير حسن باشا والي بغداد الذي كان قبله، ولذلك سميت المحلة باسم باني الجامع (محلة جديد حسن باشا). يحتوي الجامع على مصلى شتوي وبجانبه مصلى صيفي، وفيه مدرسة لتدريس العلوم الفقهية، كما يضم قاعة تضم اجهزة فكلية كالاسطرلاب والربع المجيب لتعيين وضبط التوقيت الشرعي كانت بادارة الفلكي الشهير الشيخ عبد الحليم الحافاتي رحمه الله.

الاكمكخانة الحكومية (المطبخ الحكومي):

كان مخصصا لاعداد الاطعمة لجنود قشلة البيادة، ويقع هذا المطبخ جنوبي جامع السراي، وبعد احتلال الانكليز بغداد سنة ١٩١٧ اتخذ المكان دائرة للاطفاء، ومرآبا لسيارة الاطفاء، وفي اواخر الثمانينيات ومطلع التسعينيات هدمت الابنية وحولت الى مركز ثقافي اطلق عليه مجمع الادباء والى سوق يحتوي عددا من الحوانيت للوراقين والمكتبات.

البلدية الاولى (امانة العاصمة):

من المنشآت الادارية التي اسسها والي بغداد مدحة باشا في سنة ١٢٨٦ هـ – ١٨٧٠م وبقيت تمارس واجباتها الى حين ابدال الاسم الى امانة العاصمة، وبعد تشييد بناية جديدة لامانة العاصمة (امانة بغداد فيما بعد)، اشغلت البناية من قبل المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية المربوط اداريا بالهيئة العامة للآثار والتراث تقع البناية في شارع السراي مقابل الباب الرئيس لبناية القشلة.

المدرسة الرشدية الملكية:

كان موقعها مكتب القراءات خانة، ولما تولى مدحة باشا ايالة بغداد اسس هذه المدرسة سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٧٠م) وبقيت هذه المدرسة قائمة الى حين اعلان المشروطية (اي الدستور) في سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٨م)، واقتضت الحاجة الى تحويل المدرسة الى مكتب (مدرسة) الحقوق، وفي عام ١٩٢٣ نقلت الى بناية المتحف العراقي القديم في شارع المأمون وقد نقضت البناية وحلت محلها بناية حديثة المتصرفية بغداد، وبعد متصرفية بغداد اتخذتها دائرة النفوس العامة مكانا لادارتها، ومما يجدر ذكره ان المؤرخ العراقي الكبير الاستاذ عباس العزاوي تخرج في مدرسة الحقوق هذه في سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣م) والموقع الان خربة.

المدرسة الرشدية (الاعدادية) العسكرية:

تقع الى جنوبي بناية قشلة البيادة (المشاة) شيدت على الضفة اليسرى من دجلة سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) في زمن والي بغداد للمرة الثانية عبد الرحمن باشا. ومن الناحية التاريخية كانت في هذا الموقع في العصر العباسي مدرسة عرفت بمدرسة الامير سعادة (دليل خارطة بغداد، ص١٦٥). وكانت الرشدية (الاعدادية) العسكرية تستقبل خريجي المدرسة الرشدية وبعد اكمال الدراسة يتم ارسالهم الى الكلية العسكرية في اسطنبول.

وقد بقيت هذه المدرسة قائمة حتى احتلال الانكليز بغداد سنة ١٩١٧، وبعد تأسيس المملكة العراقية سنة ١٩٢١ اتخذت البناية مقرا للمحاكم المدنية والجزائية، وكانت الهيئة العامة للاثار قد اجريت عليها اعمال ترميم وصيانة في التسعينيات من القرن العشرين الماضي.

من أوراق الراحل الاستاذ سالم الالوسي بعنوان (في حب شارع الرشيد) مطبوعة على الالة الطابعة، كان قد دفع بها الى ملحقنا ونشرنا مقتطفات منها قبل سنوات..

من النجف دخل حياتي ماركس.. هذه كبرى المفارقات في حياتي

حسين مروة

2_2

كانت كلمة «الاشتراكية» تتردد كثيراً في قراءات هذه المرحلة، لاسيما منها القراءات «النهضوية» من كتابات نقولا حداد ،صاحب مجلة السيدات والرجال والباحث الاجتماعي وصاحب كتاب الاجتماع الذي رافقني وقتاً غير قصير في اواخر العشرينيات وكذلك روايات "فرح انطون» ذات النزعة الاجتماعية وكتابات إسماعيل مظهر وبحوثه التي تصدر في مجلته «العصور» المصرية المعروفة بأتجاهاتها المادية ..ثم النتاج الطليعي لشبلي شميل الذي قدم الى الفكر العربي والثقافة العربية ، اول مرة، نظرية التطور الدارونية، بكل ما يعنيه هذا النتاج من اسهام فعلي في التأسيس لمنهج للتفكير، في لغتنا وثقافاتنا ، يعتمد النظر المادي ويقوم على استيعاب أوليات القوانين الكونية لحركة تطور الطبيعة و المجتمع. اسماعيل مظهر، وشبلي شميل هذان هما الاصل والاساس في تحولاتي الفكرية الاولى نوعياً وجذرياً، فأثرهما الاعمق في تكويني المنهجي و النظري ، يرتبط بقراءاتي المثابرة والجادة والممتعة لهما في السنوات الاولى لعهد التحرر من كابوس "المهنة" أي ما بين عامي ١٩٢٥- ١٩٢٧ ولست أنسى هنا سلامة موسى واثره بي في ذلك العهد، بما كان لكتاباته الفكرية –الاجتماعية ، حينذاك من اتصال ما بالفكر الاشتراكي الطوباوي ، ومجلة "المقتطف" بما كانت تعنى به من اضفاء للطابع العلمي الغالب على مجمل ما تنشره وتقتد، ولا غير المقتطف من المجلات ،ولا الكتب الكثيرة الاخرى التي يعسر تعدادها الان.

قلت:كانت كلمة "الاشتراكية" تتردد كثيراً في قراءات هذه المرحلة، لكن الكلمة ظلت عندي –وقتا ما –اشبه بـ«الطلسم» لا اعرف مدلولها العلمي ولاشيئاً من المفاهيم التي تشكل هذا المدلول..كيف تعاملت معها اذن؟

–لم تكن كلمة "الاشتراكية" وحدها تساوي "الطلسم" عندي، كل الكلمات ذات المدلولات الفكرية والعلمية والفلسفية بدأت علاقتي بها كـ«طلسمات في سنوات العهد الاولي لهذه المرحلة.. لكن العلاقة تلك لم تجد لها استقراراً عندي، فقد جعلت احاربها حتى قهرتها، ثم تحولت "الطلسمات" في ذهني الى قناديل اضاءت حياتي.. ذلك بفضل القراءات الدؤوب باصرار و الحاح في محاولات الفهم والكشف.. مع تكرار المحاولات مرات من غير ان أجد سأماً أو استسلم لعارض سأم، بل كثيراً ما كنت أجد عند كل محاولة جديدة نوعاً جديداً من الغبطة والمسرة.. هذا وحده كان طريق الوصول الى المدلول العلمي للاشتراكية، أي الى الاشتراكية العلمية، بعد ان تجاذبتني "الاشتراكيات" بمختلف ألوانها الاخرى، حتى لونها "الغابي» الباهت والزائف، لكنه طريق كان مشحوناً بالقلق والجهد البالغ، وكان طويلاً وعسيراً، ثم كان الوصول الى نقطة الهدف بدفعات متقطعة، متباعدة..

في معظم مراحل هذا الطريق الطويل الى الاشتراكية العلمية، لم ألتق ماركس باسمه الا مرات قليلة وخاطفة.. القراءات الجاهدة والحائرة حول الاشتراكية..في سنوات العهد الاول لهذه المرحلة، كانت بعيدة عن ماركس، أي بعيدة عن اسم ماركس اولاً، وبعيدة عن اشتراكية ماركس(الماركسية) ثانياً.. كثيراً ما كان مفهوم الاشتراكية يختلط في الكتابات العربية "بالنهضوية» اختلاطاً طريفاً، بمفاهيم متغايرة أو متناقضة، وكثيراً ما كان جوهر قضية الاشتراكية، أي المسألة الطبقية، يزوغ خلال هذه الكتابات الى خارج القضية، أو يختفي كلياً، وتبتعد الكتابة –بالطبع اذن –عن واقع الحركة الاجتماعية، أي عن رأس القوانين العاملة في تطوير المجتمع، اعني قانون التناقض الطبقي والصراع الطبقي، وأغرب اشكال الاختلاط بين المفاهيم، ان تعرض مبادئ الثورة البرجوازية الفرنسية كمبادئ للثورة البروليتارية الاشتراكية..

اول لقاء رواية "الدين والعلم والمال" لفرح انطون، وكانت الرواية هذه اقرب الى البحث "الفلسفي الاجتماعي" كما اعترف بذلك فرح نطون نفسه.

يعالج فرح، في هذه الرواية مشكلة العلاقة الطبقية التناقضية بين العمال وأرباب العمل، وهو يرى أهمية المشكلة جيداً، ويقترح لها –على لسان ممثل العمال – حلاً لا يتناسب مع مستوى اهميتها وشموليتها، وهو الحل القائل "باشراك العمال في ربح العمل" إضافة الى تشريعات الضمان الاجتماعي على نحو ما هو متبع في البلدان الرأسمالية المتطورة.. أي ان الحل المقترح لا يمس الملكية الخاصة لوسائل الانتاج، وبرغم ذلك يبادر الممثل العمالي، خلال الحوار مع ممثل أرباب العمل، الى القول متبجحا:

–هل تريدون منا فلاسفة؟ فأسمعوا رأي الفيلسوف كارل ماركس..

–«ما شاء الله» تستشهدون بأشد أنصاركم غلواً"..

فيقول العمالي:

–لا بل نستشهد بفيلسوف من الفلاسفة، رأيه يناقض رأيكم في الملكية»...

صحيح ان هذه اول مرة التقي فيها ماركس..لكن ماركس هذا، الذي التقيته عن فرح أنطون، لم استقبله بارتياح، ولم اشعر انه هو الذي سيخرجني من بليلة المفاهيم المختلفة للاشتراكية، فماركس هذا هو –اولا –فيلسوف منا" أي من هؤلاء العمال الذين يبتسرون –اعتباطا– حل المشكلة الاجتماعية – الطبقية الكبرى بحيث ينحصر هذا الحل في "اشراك العمال في ربح العمل"..وهو مع ذلك –ثانيا – "من انصار العمال غلوا" وهو –ثالثا– مع ذلك ايضا له رأي في الملكية يناقض رأي العمل..كيف تجتمع هذه التناقضات في شخص هو –الى ذلك كله– فيلسوف من الفلاسفة؟..

برغم هذه الهواجس المقلقة، وقع في نفسي ان ماركس، هذا لابد له شأن عظيم في القضية التي يتحدثون عنها كثيراً باسم الاشتراكية لكن كيف سأصل الى صاحب هذا الشأن العظيم بصورته الحقيقية دون الصورة المضطربة هذه؟.

بدءا من هذا السؤال، بدأت أدخل في العلاقة السليمة مع ماركس..

ومن هنا بدأ ماركس يدخل حياتي وما أزال في النجف..

لكن ماركس الماركسي، تأخر عني وصوله بضع سنين بعد اللقاء الاول، عند فرح أنطون، مع ماركس "غير الماركسي".. تأخر حتى انعقدت لي صلة خفية مع "الشيخ" حسين محمد الشبيبي (هو نفسه الشهيد الشيوعي" بحرص شديد وباعتزاز عميق، حتى فوجئت يوما باختفائها، فحزنت كثيرا وبقي حزني يتجدد كلما تجددت ذكرى هذا الاختفاء..

قبل هذا حاولت الوصول الى ماركس "الماركسي" بوساطة "رأس المال" غير ان نتاج المحاولة كان ضئيلاً لأنها اعتمدت ترجمة للكتاب باسم "د. راشد البراوي" وهي اقرب ان تكون تلخيصاً غير ناجح.. بصدق وحرارة، حكاية ذلك الصراع الطويل المرهق والممتع معا بين حلم الطفولة الذاهب وعلاقاته ونوازعه ورواسبه، وبين المشروع المعرفي غير المحدود الذي جعلته البديل عن الحلم ذلك بقراري واختياري.. وهو المشروع الذي استمر يدفع بي، طوال اربعة عشر عاما، من تحول فكري ونفسي الى اخر، حتى كان التحول الذي "تمظهر» اخيرا بوداع العمامة.

كانت هذه المرحلة العمل الكادح لكسب العيش/ الكفاف.. أي انها كانت مرحلة الرؤية الى الاشياء وطبائع الاشياء من داخلها او عن قرب منها، لا الرؤية الاخرى الباحثة – كانت – في "صفاء" المجردات من خارج الاشياء وطبائع الاشياء بعيدا عنها.. صار الكدح اليومي لكسب العيش / الكفاف بمثابة السلك الموصل بي الى الرؤية من الداخل، لأنه التعامل الحي مع آلية الحياة العملية –الاجتماعية، أو لأنه الاندماج بالفعل في ديناميه الحركة التي تنتج ظاهرات الحياة العملية –الاجتماعية. في هذه المرحلة الكادحة، اصبحت القراءات اكثر ضرورة لي منها في المراحل السابقة، واصبحت ايضاً تقتضيني اختيارا متميزا ومدققا لنوع المقروءات..وها قد وضعتني طبيعة العمل (التدريس في المدارس الثانوية الخاصة) امام ضرورات جديدة على هذا المثال: لقد صرت وسط العاصمة "بغداد" ووسط النشاط المركزي للحركة الثقافية العراقية، ووسط زحام العرض والطلب حول الكتاب في "سوق السراي" حيث تحفل المكتبات التجارية بكل جديد وقديم من الكتب والمنشورات ومن المؤلفات والترجمات ووسط النماذج المتنوعة من الكتاب والمفكرين والمبدعين ووسط قضايا ومشكلات ومفاهيم مستجدة مع متغيرات الحياة الكونية والعربية والعراقية بعد انخراط البشرية بأجمعها في مشاغل الحرب العالمية الثانية..

قراءاتي في هذه المرحلة اذن "تحولت" هي ايضاً.. صار يعنيني، اكثر فأكثر ، أن اقرأ من الفكر النظري ما يكون له اتصال ، أي اتصال بمضمون الواقع القائم، أي بالجري العام والخاص بسار المعركة الدائرة آنذاك، وطنياً وقومياً وأممياً ودولياً، خلال سنوات الحرب هذه.. اذن ، كان لابد من لينين، كان لابد ان أسترشد هنا بكلمة الشهيد حسين محمد الشبيبي من ان اللينينية هي الماركسية، مطبقة على الواقع الحي الملموس، وكان الواقع الحي الملموس الذي جاءت به الحرب الكونية الثانية، يحتاج أشد الحاجة الى الماركسية مطبقة بتوجيه لينيني، كان لابد لي من لينين.. فهذا وقت اللينينية ماركسيا، أي هذا وقت الماركسية بتطبيقات قائد اول ثورة اشتراكية علمية في تاريخ البشرية اطلاقا.. هكذا تحولت قراءاتي الفكرية في هذه المرحلة..تحولت الى لينين من نداته الشهير الى شعوب الشرق حتى الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية". وقد اسعدتني مصادفة رائعة، في تلك الظروف نفسها، بالاطلاع على ترجمة غير منشورة، لدى احد المثقفين الشيوعيين العراقيين لكتاب لينين: "الدولة والثورة" وكان من الطبيعي –مع ذلك– ان اضيف الى القراءات اللينينية قراءات مميزة من الفكر القومي العربي لأبرز الشخصيات المتخصصة وقتئذ بالتنظير لهذا الفكر..

وبعد..فأين انا اذن، في مرحلة الاربعينيات من مسألة الانتماء؟.

الحقيقة ان هذا السؤال استوقفني مرات بعد رحلة الاربعينيات أي بعد العودة الاخيرة الى وطني الاول: لبنان، وهذه أول مرة احس فيها الحاجة الى وضوح الجواب:

–كانت مجريات حياتي الدراسية ، منذ انطفاء الحلم الاول الذي حملني الى دار الهجرة العلمية: النجف، حتى اللقاء البهي مع ماركسية لينين، او مع لينينية ماركس – كانت كل هذه المجريات تتسلسل بي–طبيعياً وبهدوء– الى الانتماء الماركسي اللينيني بشكليه او بمضمونه الفكري والعضوي..

اما الانتماء الفكري، فلم يكن يحتاج عندي الى ارادة مباشرة، في زمن مباشر.. فهو جاءني بالارادة البطيئة الخفية، بالتراكمات المعرفية الهادئة، بالتحولات الكيانية السرية.. كان الانتماء الفكري يتكون في داخلي مع تكوين اصوله الثوابت: "الاتجاهات المادية "الهلامية" في تفكيري قبل التقائي نص ماركس او انجلز أو لينين، (الطريق) حزيران عام ١٩٨٤ –عدد خاص بمئوية ماركس

متسائلاً: لماذا لايستشهد بالماركسية؟قال: اللينينية هي الماركسية مطبقة على الواقع الملموس تطبيقا ابداعيا تميز به لينين في عصر الثورة الاشتراكية العلمية المتحققة على الارض بالفعل.

منذ انعقاد هذه الصلة دخلت في صميم العلاقة الصحيحة أي العلمية مع ماركس "الماركسي".. وأخذت اقرأ العلم الماركسي، دفعة دفعة، ذات مرة دفع لي الرفيق الشهيد "الشبيبي" بنسخة من «البيان الشيوعي» على سبيل الاهداء، شرط ان اقرأها أكثر من مرة.. ولكي استحق شرف هذا الاهداء عشت مع البيان الشيوعي ، في هذه النسخة العزيزة يومين كاملين متتاليين ، ثم رجعت اليه منشرح الصدر، مفعما بفرح المعرفة بأضوائها الجديدة الكاشفة، يقيت محتفظا بهذه النسخة من "البيان الشيوعي" بحرص شديد وباعتزاز عميق، حتى فوجئت يوما باختفائها، فحزنت كثيرا وبقي حزني يتجدد كلما تجددت ذكرى هذا الاختفاء..

قبل هذا حاولت الوصول الى ماركس "الماركسي" بوساطة "رأس المال" غير ان نتاج المحاولة كان ضئيلاً لأنها اعتمدت ترجمة للكتاب باسم "د. راشد البراوي" وهي اقرب ان تكون تلخيصاً غير ناجح.. بصدق وحرارة، حكاية ذلك الصراع الطويل المرهق والممتع معا بين حلم الطفولة الذاهب وعلاقاته ونوازعه ورواسبه، وبين المشروع المعرفي غير المحدود الذي جعلته البديل عن الحلم ذلك بقراري واختياري.. وهو المشروع الذي استمر يدفع بي، طوال اربعة عشر عاما، من تحول فكري ونفسي الى اخر، حتى كان التحول الذي "تمظهر» اخيرا بوداع العمامة.

كانت هذه المرحلة العمل الكادح لكسب العيش/ الكفاف.. أي انها كانت مرحلة الرؤية الى الاشياء وطبائع الاشياء

من ظرفاء بغداد.. صادق الازدي صاحب مجلة (قرندل)

بقلم :حسين الكرخي

هو صادق بن محمد بن قدوري بن خضر الازدي – بفتح الهمزة – نسبة الى قبيلة ازد اليمانية. والده محمد من مواليد الموصل، اما صادق فمن مواليد بغداد سنة ١٩١٨م في محلة (المجارية) من رصافة بغداد ونشأ في محلة القره غول القريبة من (المجارية).

ودرس القرآن الكريم لدى كتاب الملا ابراهيم الواقعة في محلة (كوك نز) واصل التسمية (كوك لازار) اي قطيعة لازار وانما سميت بهذا الاسم لان ضابط مدفعية السلطان مراد العثماني الذي دحر الجيش الفارسي وفتح بغداد كان ارمنيا يدعى (لازار) طلب الى السلطان ان يقطعه ارضا ببغداد يبني عليها كنيسة فاقطعه هذه القطعة فبنى فيها كنيسة للارمن الارثوذكس وبنى الناس حولها وسميت المحلة، كوك لازار، ثم حوره البغداديون الى الاسم الشائع الحالي وكان بيت المرحوم الرصافي مجاورا لهذا الكتاب.

دخل مدرسة التفيض الاهلية عام ١٩٢٥ – ١٩٢٦ وكانت تحتل بناية امام مبنى القشلة ثم قام مديرها السيد حسين العاني بانشاء بنايتها الجديدة في العاقولية....

وقد وضع الملك فيصل الاول حجر الاساس لها تخرج في الابتدائية ودخل مدرسة الصناعة – قسم النجارة – عام ١٩٣١ وفي المرحلة هذه كان يقرا الصحف الفكهة وظل كذلك فقرا جرائد الكرخي وحبزبوز وما يكتبه نوري ثابت في (البلاد) وعندما صدرت جريدة (الناقد) لميخائيل تيسي ارسل اليها كلمة ولما قراها منشورة في العدد التالي لم تعد الدنيا تسعه من الفرح...

وبعد انقلاب بكر صدقي عمل مصححا في جريدة (الدفاع) التي اصدرها سركيس صوراني وصارت تنطق بلسان قائد الانقلاب وبعد اغتيال بكر صدقي في الموصل تم نفي صوراني الى سورية وفي الصف الرابع من مدرسة الصناعة عمل في جريدة (الكشكول) التي اصدرها حمادي الناهي بعد انفصاله عن جريدة حبزبوز ثم تركها وعمل محررا في جريدة (بالك) التي اصدرها عبد الحميد فخري ثم تحول اسمها الى (العهد الجديد) وبعد ان انهى دراسته في الصناعة عمل في سلك التعليم بعدها دخل دار المعلمين الريفية وكان من اساتذتها العرب علي حيدر الركابي ومحمد النقاش وبدوي الجبل وفي تلك الاثناء كان ينشر مقالاته الفكهة في الجرائد البغدادية فنصحه اساتذته بترك التعليم ومزاولة الصحافة وهكذا فعل عام ١٩٤٠ فعمل في جريدة (النديم) لصاحبها ناصر جرجيس ولما قامت حركة مايس الوطنية عام ١٩٤١ عمل في جريدة (النهار) لصاحبها عبد الله حسن ثم عمل في جريدة (الاخبار) لصاحبها جبران ملكون الى عام ١٩٥٢ ....

وكان قبلها قد اصدر مجلته المعروفة (قرندل) عام ١٩٤٧ واذكر انني نشرت فيها الفصل الاول من كتابي (مجلس الادب في بغداد) استمرت هذه المجلة حتى عام ١٩٥٨ حيث الغي امتيازها وكانت قبل ذلك قد عطلت خمس مرات وفي الثامن من ايلول ١٩٥٨ توقفت تماما عن الصدور و(قرندل) هذا معروف في الحكايات الشعبية العراقية وهو الذي يجهد نفسه في خدمة الاخرين ثم يحرم من ذرة جهده بهذا المعنى الطريف وجه الشاعر علي الخطيب هذين البيتين الى الازدي:

اذا كبة على الغداء وجدتني
انوء به دقا وما منه اكل
فان كان دق قبل اين قرندل
وان كان اكل قبل ناهم قرندم

واحسب ان الكلمة محورة من (قلندر) و(القلندرية فرقة دينية عرفت في العهد العباسي ورد ذكرها في رحلة ابن طوطة مرة بصورة قلندرية واخرى بصورة قرندلية وحدثنا العلامة محمد رضا الشبيبي في كتابه (اصول الفاظ اللهجة العراقية) ان بعضا منهم كانوا يحلقون لحاهم وحواجبهم وشواربهم قال السراج الوراق:

عشقت من ريقته قرقف
وما له اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا
منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله
فاختار ان يبقى بلا حاجب

وعمل الازدي بعد احتجاب مجلته عدة جرائد منها:

العقد الجديد، العرب، الجماهير، الجمهورية وغيرها وفي عام ١٩٧٤ تقاعد ولكنه بقي يرفد جريدة (العراق) ومجلة (المرأة) بمقالاته الشائقة ومما يجدر ذكره انه عمل في العهد الملكي كرئيس تحرير في اوقات مختلفة لجرائد (اخبار المساء) لمهدي الصفار و(الحوادث) لعادل عوني كما حرر في (العهد الجديد) لعدنان القاضي و(فتاة العرب) لمريم نوة و(صوت الشعب) ليوسف هرمز و(الناشئة الاسلامية) لعبد الباقي العاني وغيرها وكان صاحب جريدة (الصحافة) واحد اصحاب جريدة (المنار).

من طريف ما ذكره الاستاذ سعاد الهرمزي في واحدة من مقالاته عن ابي جعفر قوله:

اشتهر بطول انفه، وقد دعي يوما للغداء عند احد اصدقائه وفيما هو جالس لاحظ الداعي ان ابنه الصغير دائم التطلع الى انف الضيف فخشي ان يبدي الطفل ملاحظة تؤلم الازدي فظل يحملق في وجه طفله كلما هم بالكلام واخيرا قال الطفل:

– لا تخف يا ابي فانني لن اقول شيئا عن انفه فقط اتفرج عليه!؟

بقي ان تعرف ان ابا جعفر يهوى الطرافة ويجيد حبك النكتة وله نوادر وتعليقات ومبادهات كثيرة اذكر منها ما يلي:

× تعرف على احد وزراء العهد السابق الذي اشتهر بالبخل وذلك في احد فنادق دمشق فقال للازدي شاكيا انه لم انم البارحة حتى الصباح من اصوات الصراصر المزعجة في الغرفة فضحك ابو جعفر وقال له.

–«مولانا" لعد تريد يجيبولك محمد عبد الوهاب يغنيلك للصبح بثلاث ليرات التدفعها يومية؟.

× كان – مرة – يشتري (الزوزوات) من سوق الفضل فصادف احد المسكين من ابناء محلته يعامل على البيض وقد تعرق جبينه فقال له:

– ابو جاسم! "اشوف لو ترجع للبيت وتجيب لك كاسة وياك!؟ فسأله:

– ليش؟ فاجابه – اكو اعرابية تتبيع البيضة الصحيحة بعشرين فلس والمكسورة بخمسمطعش خلي تحطلك جم بيضة مكسورة بالكاسة».

× كان مركب الاسنان المرحوم عبد الكريم المرياتي يعالج اسنان الازدي وذات يوم حدثه المرياتي عن زبون اختلف معه على الاجرة بعد ان صنع له (طخما) فاحتدم النقاش واذا بالزبون يعضه بالاسنان التي صنعها له فضحك ابو جعفر وقال – هاي تنسجل! انت اول واحد ينعض بسنونه!!

× عندما الزمت احدى الحكومات بعض المتنبين الى احد الاحزاب بنشر (براءة) في الصحف كان من بين النابذين الشاعر حسين مردان وفي مساء اليوم الذي تم فيه نشر البراءة التقى الازدي بصاحبه حسين مردان فقال له:

– ابو علي: هاليوم من الصبح وانت على بالي! فساله – لويش يابه اني على بالك ؟ فاجابه – قريت لك قصيدة اليوم بعنوان (براءة) والى هسه انت على بالي.

× زار الصحفي صبيح الغافقي – رحمه الله – زميله الازدي في ادارة مجلة (قرندل) فاتعبه السلم فقال – ابو جعفر! "الواحد لما يجي عليك يخاف لا يوكع من الدرج وتنكسر رجله" ! فاجابه – استاذ صبيح لا تدير بال اذا تنكسر او تنفصخ رجلك المجبر الفني جلال شاكر مو بعيد يداويك بلاش فماكو حاجة تفكر بها بالمسألة؟!».

× وهذه نادرة وان لم تكن له ولكنها حصلت في ادارة احدى الجرائد التي يعمل بها الازدي تستحق الذكر – كان الصحفي الياس وزير معروفا بين زملائه بالطرونة كالمرحوم عبد المسيح وزير وذات يوم زار الازدي في مقر عمله وكان الصحفي المعروف محمد حامد هناك وروى محمد اثناء وجوده انه اشترى ساعة سويسرية منبهة بخمسة دنانير واذا بالياس وزير يقول له "غلبوك هواية؟!».

فساله محمد – شلون استاذ».

فاجابة – جيراني اشترى دوه (دواء) سويسري منبه للاعصاب بنص دينار بس؟

عن كتاب مجالس بغداد

الخانات.. مواقع الإستراحة القديمة بين بغداد والعتبات المقدسة

علي كامل السرحان

كانت الخانات تستخدم كمحطات استراحة من قبل المسافرين وقوافل التجارة التي تروم التنقل عن طريق الفرات من بغداد إلى البصرة أو بالعكس، وكذلك قوافل الزوار التي تقصد الأماكن المقدسة في مدينتي النجف وكربلاء.

كما أن للخانات أهمية حينما يتعذر على القوافل أن تحط رحالها في بقعة ما بالصحراء فإنها تخيم في خانات القوافل التي كانت في الغالب وقفاً خيرياً أوقفه أغنياء المسلمين، فالخان الكبير يتسع لما مجموعه أربعمائة شخص مع حاجاتهم، والخانات شأنها شأن الفنادق ذات مستويات مختلفة.

وفي بعض الحالات تعتبر الخانات هي أقدم من القرى والمدن التي قامت بالقرب منها، والدليل على ذلك هو قيام بالقرب من كل خان عدد من الأكواخ تطورت فيما بعد فأصبحت مدن مثل مهافيه وبيرونوس والإسكندرية وغيرها.

وكانت الخانات تقدم بعض الخدمات مثل الأطعمة والقهوة والأعلاف والماء ومبيت الجنائز وغيرها من الأمور الهامة.

أنواع الخانات:- تقسم الخانات إلى مجموعة أنواع هي:

1. خانات نزول المسافرين:-

وهي أشبه ما تكون عليه حالة الفنادق اليوم، ولكنها تقدم الخدمات إلى الزوار والمسافرين مجاناً، ويكلف بالقيام على إدارة أعمال الخدمات في الخان (صاحب الخان) أو أحد الموسرين في المدينة، وكان الطلبة الوافدين إلى الحلة أو الزائرون للعتبات المقدسة في النجف الأشرف أو كربلاء المقدسة مروراً بالحلة ينزلون في تلك الخانات مدة تعليمهم.

2. خانات حفظ البضائع التجارية:-

لقد اهتم الملاكون والتجار والمزارعون بهذا النوع من الخانات لتسهيل مهام خزن بضائعهم، وتكون منتشرة في مختلف أنحاء المدينة.

3. خانات إيواء الحيوانات:-

وتهتم بإيواء الخيول والحمير والجمال وتقديم العلف المناسب لها، وتكون على الأغلب بالقرب من الأسواق في داخل المدن.

وقد تنوعت الخانات منذ إنشائها إلى ثلاثة أنواع، فقسم منها أنشأه أناس أتقياء لتكون مكاناً لاستراحة زوار العتبات المقدسة، وقسم آخر أنشأه أناس أثرياء بقصد الربح المادي والقسم الثالث أنشأته السلطة أو الدولة لتكون محطات لسعاة البريد ومكاناً لاستراحة الوفود العسكرية والمدنية وثكنات لجيوشها.

خانات طريق حلة – بغداد:-

تكمن أهمية خانات هذا الطريق بشكل خاص باعتباره طريق تجاري وطريق الحجاج أيضاً، حيث وجدت مجموعة كبيرة من الخانات المتصلة ما بين الحلة وبغداد، وكانت تبعد الواحدة عن الأخرى مسيرة ساعتين إلى أربع ساعات تقريباً.

خان المحمودية:

ذكر لنا الرحالة (جمس بكنغهام) عن خان المحمودية فقال: "ففي الخامس والعشرون من تموز سنة ١٨١٦ م، وفي حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل مررنا بخان ثالث يدعوه الأتراك (خان أورطه)، وتسميه العرب (خان بير يونس)، فاسمه الأول مأخوذ من طراز بنائه المعماري، واسمه الثاني أخذ من اسم بئر قيل أن النبي يونس كان يستقي منه أثناء سفراته من نينوى وإليها، مررنا بهذا الخان من دون أن ندخله وبعده بنحو ساعة وجدنا طريقاً يتفرع نحو الغرب بينما الطريق المستقيم ما يزال مستمراً".

ووصفت السائحة (مدام ديولافوا) في معرض رحلتها من بغداد إلى بابل خان المحمودية فقالت: "... ظهرت على الأفق بناية كبيرة من الآجر وهي خان كبير شيده الإيرانيون بجهودهم وفلوسهم، فبه بضع حجر واسعة معدة لاستراحة زوار العتبات المقدسة من الشيعة، وهذا الخان يناظره خانات إيران التي شاهدتها لدرجة كبيرة إذ تحيط بصحنها الحجر من جميع الجوانب التي يتقدم كل منها إيوان واسع، والمسافرون عادة عندما يكون الجو لطيفاً ينزلون في هذا الإيوان وعند برودة الطقس يأوون إلى الحجر ويجعلون دوابهم وحيواناتهم الأخرى في الإسطبل المقابل لهم لكي تكون على مرأى منهم على الدوام مخافة سرقتها". وكتب الرحالة (السير واليس برج) في معرض رحلته شيء عن خان المحمودية فقال: "... ومن تل عجيلي اتجهنا نحو المضافة المشهورة التي يسميها الأتراك (أورطه خان) أي الخان المسقف أو المغطى، ويعتقد إنه يقع في منتصف المسافة بين بغداد والحلة تماماً، وليس هذا بصحيح على ما يلغني ببغداد، ويسميه العرب (خان بئر النص) أي خان البئر الكائنة في منتصف المسافة، وأبرز ما في الخان بئر ذات غور عميق ينزل إلى مائها على درجات".

يعتبر خان المحمودية الخان الوحيد المسقوف (المغطى) على طريق حلة – بغداد، فضلاً عن أنه المحطة الرئيسة الثالثة لطريق القوافل التجارية الخارجة من الحلة، كما أنه ليس بخان منتصف الطريق، لأن المحمودية لا تقع في منتصف طريق حلة – بغداد.

خان الإسكندرية:

لقد ذكر الرحالة (بيترو ديلافاليه) في رحلته من الحلة إلى بغداد خان الإسكندرية فقال: "غادرت الحلة ضحى الخامس والعشرين من تشرين الثاني، وأمضينا الليل في خان البئر،... وأمضينا الليلة الثانية في خان يقع قرب قلعة غير مأهولة يدعى خان النص، لأنه يقع في منتصف الطريق بين الحلة وبغداد".

من عادة العرب أن يسموا المواقع أو الخانات بأسماء الآبار ومنابع المياه والآثار الموجودة بالقرب منها لأهميتها، ويقصد الرحالة (ديلافاليه) بخان البئر هو خان المحاويل، وخان النص هو خان الإسكندرية.

أما الرحالة (جمس بكنغهام) فكان معجباً بخان الإسكندرية من حيث البناء والطراز المعماري واختلافه عن باقي خانات العراق الأخرى، وخصوصا على طريق بغداد – الموصل، فضلا عن الخدمات التي يقدمها من أكل وشراب، فضلا عن مرافق الخان الأخرى مثل المطبخ والإسطبلات ومكان للصلاة وحانوت وغيرها.

ويذكر الرحالة (المنشئ البغدادي) خان الإسكندرية في رحلته إلى العراق فقال: "من بغداد إلى الإسكندرية ثمانية فراسخ،... وهناك خان كبير وبعض بيوت العرب يسكنونها ويزرعون في تلك الأنحاء".

كما ذكر الرحالة (جون أشر) انطباعه عن خان الإسكندرية فقال: "في يوم ٧ كانون الثاني ١٨٦٥ م،... وعند الغروب توجهنا إلى خان الإسكندرية الكبير، ونصبنا خيمتنا في صحنه لقضاء ليلتنا تلك فيه، وكان هذا الخان قد بناه على سبيل البر والخير (رئيس وزراء إيران)، لزوار مشهد علي".

في حين قضى الرحالة (لجان) ليلته في خان الإسكندرية إذ قال: "المناخ بارد جدا ولا يمكن النوم على السطوح، أخيراً وجدنا حنيات كبيرة عريضة يبلغ عمق الواحدة نحو مترين ونصف ضمن بناء الجدار في ظهر الإسطبل فاخترناها كموضع للمبيت،... وعندما إستيقظنا صباح اليوم التالي لنستمر في السفر فنصل إلى الخان التالي قبل ازدياد الحر، رأيت في الحنية التالية وهي غير بعيدة عني أنها استضافت في الليلة السابقة جثة في طريقها إلى كربلاء".

بينما قارنت السائحة الفرنسية (مدام ديولافوا) بين خان المحمودية وخان الإسكندرية فذكرت الآتي: "في ٢٢ كانون الأول ١٨٨١ م أفقنا في الصباح الباكر على جلجلة أصوات القوافل التي خرجت من خان المحمودية،... وفي الأخير قرب الظهر بلغنا خان الإسكندرية التي كانت دون الخان السابقة بناءاً واستحكاماً وجمالاً، بيد أنها كانت ذات حركة دائبة وكان عدد الأشخاص يبدو فيها أكثر ممن هناك، ذلك لأن هذه المدينة تقع على تقاطع طريقين أحداهما تذهب إلى مدينة كربلاء والأخرى نحو الحلة".

أما الرحالة (السير واليس برج) فذكر خان الإسكندرية خلال رحلته من بغداد إلى الحلة فقال: "إن خان الإسكندرية أخا الدهر، قديم، لكن هذا الذي كنا نطرق بابه ونروم ولوجه بني أبان القرن الثامن عشر، وكان يرمي من رواء بنائه تمكين الزوار الفرس من اتخاذه مسكنا ومبيتا عندما يتخذون سبيلهم إلى زيارة (مسجد علي) أو (مسجد الحسين) عبر الفرات، وما وراء الحلة".

وتطرق الرحالة (بهادر) إلى أهمية خان الإسكندرية في رحلته إلى العراق، لأنه يقع على مفترق طرق أحدهما يذهب إلى كربلاء عن طريق مدينة المسيب والآخر يذهب مباشرة إلى بغداد. ويعتبر خان الإسكندرية المحطة الثانية الرئيسة لاستراحة المسافرين والزوار على الطريق حلة– بغداد.

عن رسالة (خانات الحلة في العهد العثماني راسة تاريخية)

نص نادر

البصرة في الثلاثينات

للدكتور عبد الوهاب عزام

خرجنا من الناصرية على الفرات جنوبي العراق نريد البصرة يوم الخميس ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٦ والساعة ثلاث وعشر دقائق بعد الظهر، والناصرية حاضرة لواء المنتفق بنيت على نظام حسن منذ ثمانين عاماً، وسميت باسم ناصر باشا السعدون رئيس عشائر المنتفق، وبينها وبين البصرة مائة وخمسة عشر ميلاً.

سارت بنا السيارة ثلاث ساعات على حافة بادية الشام في قسمها الجنوبي المسمى بالسماوة، نجد على البعد ريح نجد ونرى الشيح والقيصوم؛ وبينا نحسب الساعات والأميال، تشوقنا البصرة وذكرياتها، قال أحد الرفاق: "انظروا إلى شجرة الأثل – هذا أثل الزبير، قاربنا المدينة". مدينة الزبير مدينة صحراوية على مقربة من البصرة الحديثة بينهما نحو عشر كيلات، وكانت في العصور الخالية قسماً من البصرة القديمة، سميت باسم الزبير بن العوام أحد الصحابة قتل بعد موقعة الجمل في وادي السباع على مقربة من المدينة ودفن بها.

وسكان الزبير معظمهم نجديون أهل نشاط وتجارة، وقد جلبت إليها الحكومة العراقية الماء من البصرة منذ سنتين وكان شربهم من الآبار.

وبها من المشاهد قبر الزبير رضي الله عنه في مسجد كبير، وفي جانب من هذا المسجد قبر عتبة بن غزوان مؤسس البصرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. قلت في نفسي: قبر عتبة يذكرني بالفتح والتعمير، وضريح الزبير يذكر بالخلاف والقتال بين المسلمين، وتلك أمة قد خلت، أسأل الله إصلاح النفوس وتأليف القلوب.

وخرجنا من مسجد الزبير إلى ظاهر البلد فرأينا قبة صغيرة تحتها قبران: قبر الحسن البصري، وقبر محمد بن سيرين من التابعين، قلت: قد اصطحبا حيين وميتين. وإن الذي يذكر الحسن يملأ نفسه الإجلال والإكبار لهذا الرجل رجل الذكاء والعلم والفصاحة والورع والجرأة في الحق. وقد روي عن ثابت بن قرة أنه قال: ما أحسد هذه الأمة العربية الأعلى ثلاثة أنفس: عمر بن الخطاب والحسن البصري والجاحظ. وقال عن الحسن: كان من دراريّ النجوم علما وتقوى، وزهدا وورعا وعفة ورقة وفقها ومعرفة. . . يجمع مجلسه ضروبا من الناس، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التأويل، وهذا يسمع منه الحلال والحرام، وهذا يحكي له الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الوعظ، وهو في جميع ذلك كالبحر العجاج تدفقا، وكالسراج الوهاج تألقا. ولا تنس مواقفه ومشاهده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفصل واللفظ الجزل. . . الخ

وأما قبور الصالحين التي ذكرها ابن بطوطة كمالك بن دينار وسهل بن عبد الله فلم نجد عند القوم خبرا عنها. وأما قبر أنس بن مالك خادم رسول الله فعند وادي السباع بعيدا عن المدينة.

فصلنا عن مدينة الزبير فرأينا على بعد قبة منفردة في البرية وعرفنا أن تحتها ضريح طلحة بن عبد الله أحد الصحابة، وقد قتل في موقعة الجمل أيضاً. ثم مررنا بمئذنة مفردة ليس بجانبها بناء فقيل إنها مئذنة مسجد علي رضي الله عنه. وكان هذا المسجد في وسط المدينة، وكان مسجداً عظيماً بقي وحده بعد خراب البصرة القديمة ورآه ابن بطوطة وقال إنه من أحسن المساجد وصحنه متناهي الانفساح، مفروش بالحصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع، وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل.

ثم دخلنا مدينة البصرة وهي على ثمانية أميال إلى الشمال والشرق من البصرة القديمة التي تم خرابها في أوائل القرن الثامن الهجري وخراب البصرة يضرب به المثل.

ولله ذكرٌ تحيط بالداخل إلى البصرة: إنها ذكرٌ الفتح والتعمير الإسلامي. إنها ذكر العلوم والآداب الغربية. هنا ولد النحو وعلوم اللغة، هنا أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه والأصمعي ثم الحريري، وهنا بشار وأبو نواس، وهنا أئمة المعتزلة إبراهيم النظام وأبو الهذيل العلاف، وهنا نادرة الزمان أبو عثمان الجاحظ. هنا إخوان الصفاء الذين دونوا خلاصة الفلسفة الإسلامية، وهنا المربد حيث كان يجتمع الشعراء والفصحاء فيستمع الناس ويقوضون لمتكلم على آخر. هنا أنشد جرير والفرزدق وغيرهما.

سألت أبين المشان قرية الحريري التي كان بها نخله الكثير فقيل لا يزال اسمه معروفا شمال البصرة فأنشدت ما كتبه سديد الدولة ابن الأنباري إلى الحريري:

سقى ورعى الله المشان فإنها ... محل كريم ظل بالمجد حاليا
أسائل من لاقيته كيف حاله ... فهل يسألن عني ويعرف حاليا

البصرة اليوم مدينة عامرة كبيرة، واسعة التجارة قد شمل التنظيم الحديث قسماً كبيراً منها، وقسمها الحديث يسمى العشار يقع على شط العرب، وتشرف على هذا النهر العظيم قصور أغنياء البصرة يتباين فيها الغنى والبذخ والترف، لها مجالس على النهر وسلالیم ترسو عليها الزوارق.

وعلى بضعة أميال من المدينة تقع ميناء البصرة الحديثة تدخل إليها البواخر الكبيرة، ولها مستقبل تجاري وحربي عظيم، والجهة التي بها الميناء تسمى المعقل ويسميها الأوروبيون مركيل وأحسبها مسماة باسم معقل بن يسار المزني. وكان هناك نهر يسمى نهر معقل. وجاء في الأمثال: إذا جاء نهر الله فقد بطل نهر معقل.

والبصرة مدينة البندقية العربية فهي واقعة على شط العرب العظيم تخرج منه أنهار كثيرة تخترق المدينة، فتجد الأنهار في شوارعها الفسيحة تطل عليها الدور والبساتين.

وأذكر أني سرت من المدينة إلى أبي الخصيب في طريق معبدة تظللها النخيل والأشجار نحو عشرين ميلاً فاجتزت أربع عشرة قنطرة على الأنهر الآخذة من شط العرب.

والبصرة أكثر بقاع العالم نخلاً، بها نحو عشرة ملايين نخلة. ويكاد النخيل يتصل ما بين القرنة حيث يجتمع دجلة والفرات إلى مدخل خليج البصرة ونلك نحو مائة وخمسين كيلا. وقد روى الأصمعي عن الرشيد أنه قال: نظرنا فإذا ما على وجه الأرض من ذهب وفضة لا يبلغ ثمن نخل البصرة. . . الخ.

وهذا الخصب العظيم والعمران الكثيف على مقربة من البادية. فمن شاء تحضر ونعم بألوان الحضارة، ومن شاء تبدى واستمتع بحرية البداوة وبالصيد وغيره.

وقد قال ابن أبي عيينة المهلبي يصف البصرة:

يا جنة فاقت الجنان فما ... يعدلها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطناً ... إن فؤادي لمثلها وطن
زوّج حيتانها الضباب بها ... فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر لما نطقت به ... إن الأديب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة ... ومن نعام كأنها سفن

وقال خالد بن صفوان: يغدو قانصنا فيجيء هذا بالشبوط والشيم، ويجيء هذا بالظبي والظليم. . . والشبّوط والشيم من أنواع السمك.

وقال ابن أبي عيينة أيضاً:

ويا حبذا نهر الأبلة منظرا ... إذا مدّ في إبانه الماء أو جزر
ويا حسن تلك الجاريات إذا غدت ... مع الماء تجري مصعدات وتنحدر

وسقيا بساتين البصرة ومزارعها من المد. ولذلك أن شط العرب يمد ويجزر. وقد وصفه الشعراء والكتاب والرحالون على اختلاف العصور.

قال خالد بن صفوان:

وأما نهرنا العجيب فإن الماء يُقبل عنقاً فيفيض متدفقاً، فيأتينا في أوان عطشنا، ويذهب في زمان رينا، فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فرشنا. فيقبل الماء وله عباب وازدياد لا يحجبنا منه حجاب، ولا تغلق دونه الأبواب، ولا يتنافس فيه من قلة، ولا يحبس عنا من علة

وقال الجاحظ وهو يعدد عجائب البصرة:

منها أن عدد المد والجزر في جميع الدهر شيء واحد، فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتد عند استغنائهم عنه؛ ثم لا يبطئ عن الأرض إلا بقدر هضمها واستمرائها وجمامها واستراحتها، لا يقتلها عطشا ولا غرقا. يجيء على حساب معلوم، وتدبير منظوم ومدد ثابتة، وعادة قائمة، يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه. فلا يخفى على أهل الغلات متى يتخلفون ومتى يذهبون ويرجعون، بعد أن يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر، فهي آية وأعجوبة، ومفخرة وأحدوثة، لا يخافون المحل ولا يخشون القحط

قال ياقوت الحموي:

كلام الجاحظ هذا لا يفهمه إلا من شاهد المد، وقد شاهدته في ثماني سفرات لي إلى كيش ذاهباً وراجعاً، ويحتاج إلى بيان ليعرفه من لم يشاهده: وهو أن دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهرا عظيماً يجري من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب؛ فهذا يسمونه جزراً، ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مدا، يفعل ذلك كل يوم وليلة مرتين. فإذا جزر نقص نقصاناً كثيراً بينا بحيث لو قيس لكان الذي نقص مقدار ما يبقى أو أكثر. وليست زيادته متناسبة بل يزيد في أول كل شهر ووسطه أكثر من سائره الخ أ. هـ. كلام ياقوت

وهذا النظام لا يزال ساريا اليوم، ولكن حفر مدخل الشط في السنين الأخيرة لتتمكن السفن العظيمة من الدخول فصار المد أقل مما كان قبلا

مجلة (الرسالة) العدد ٢٦٧ - في ١٥ - ٨ - ١٩٣٨

لنتذكر الفنانة الكبيره بياتريس اوهانسيان

اعداد : اسلام خزعل فاضل

بياتريس اوهانسيان عازفة بيانو عراقية أرمنية، أجمل وارقى من عزف على آلة البيانو في العراق، ولدت عام ١٩٢٧ بمنطقة "المربعة" إحدى محلات مدينة بغداد القديمة.وهي من عائله فنية موسيقية، شقيقها "آرشان» عازف كمان معروف وشقيقتها الأصغر «سيتا» هي أيضاً عازفة على آلة البيانو... درست في مدرسة الراهبات التي كانت تقع في محلة «رأس القرية» القريبة من «عقد النصارى» ببغداد.

حيث كانت هناك بدايتها الأولى في تعلم الموسيقى بدراسة العزف على آلة البيانو، وكانت ترتل وتنشد ضمن فريق الإنشاد التابع للمدرسة.

وكانت مدرسة الراهبات تعتبر الأفضل بين مدارس البنات الأهلية انذاك ، من حيث المستوى التربوي والعلمي والفني ذلك الوقت. كانت تذهب كل يوم أحد إلى كنيستها الأرمنية ببغداد (التي كانت قرب كنيسة أم الأحزان الكلدانية ..حالياً في مكان السوق العربي) تنعش نفسَها بالألحان الكنسية التي كانت تؤديها مجموعة إنشاد الكنيسه . حيث أخذت ترتد بصوتها الرقيق كل ما كان يرتل أثناء القداس. ليتطوّر الأمر لديها، فأخذت تعزف في الكنيسة على آلة الأرغن الهوائي قطعاً موسيقية وتراتيل. وفي بيتها كانت تستمع من خلال جهاز (الحاكي – الفونوغراف اليدوي) إلى عزف لما هو مسجّل من الموسيقى الكلاسيكية من أعمال كبار المؤلفين الموسيقيين الأوربيين أمثال: شوبان، باخ، موزارت ، بتهوفن ..قدّم والدها في العام ١٩٣٧ طلب انتساب إبنته بياتريس للتسجيل في "المعهد الموسيقي العراقي-فرع البيانو" التابع إلى وزارة المعارف، والذي يقع في منطقة المربعة. و كانت شروط القبول في المعهد تقضي بأن يكون الطالب حائزاً على شهادة الدراسة الابتدائية، وأن لا يقل عمره عن ١٣ سنة.و دخلتُ إلى المقابلة أمام لجنة القبول بالمعهد والمكوّنة من مدير المعهد الشريف محيي الدين حيدر و حنا بطرس معاون المدير، وأستاذ البيانو الروماني جوليان هرتز . وقدّمها الأستاذ حنا بطرس واصفاً إياها بـ» شوبان الموهبة المبكرة" كونها موهوبة في العزف. حيث قدمت عدداً من القطع والتمارين أمام اللجنة بشكل جيد، فنالت إستحسانها. لكن اللجنة وجدت عائقاً أمام القبول في المعهد بسبب صغر السن، وكونها ما زالت تلميذة ابتدائية ذلك الوقت.وبتدخّل تشجيعي من الأستاذ حنا بطرس، تم قبولها استثناءً من شرط العمر. وهكذا بدأت الدراسة الفنية بالشكل العلمي الجيد على يد الأستاذ الروماني جوليان هرتز، وتخرجت في العام ١٩٤٤، بدبلوم فن عالٍ بدرجة امتياز.

بعد تخرجها من معهد الفنون الجميلة أكملت دراستها في الأكاديمية الملكية في لندن ، ونالت شهادة التخرج وجائزة فردريك وسترليك. حصلت فيما بعد على منحة فولبرايت لمواصلة دراستها في الولايات المتحدة الأمريكية، في مدرسة "جوليارد» في نيويورك وهي من المدارس العريقة . وعادت إلى العراق فيما بعد لتصبح رئيسة قسم البيانو في معهد الفنون الجميلة. حيث تخرج على يدها الكثيرون من الطلاب الذين أصبحوا فيما عازفون معروفون.كانت بياتريس أحد العناصر الرئيسية في الفرقة السمفونية العراقية وقدمت مع زملائها عروض فنية جميلة في بلدان عديدة.. وكانت أول عازفة بيانو منفردة في العراق، وأول مؤلفة للموسيقى الكلاسيكية، ولها العديد من المقطوعات الجميلة و من أجملها مقطوعة "الفجر». حصلت على جوائز تقديرية داخل العراق وخارجه، في عام ١٩٩٦ هاجرت العراق متوجهة إلى مدينة هاليفاكس بولاية مينيسوتا الأميركية مع شقيقتها سيتا لتصبح فيما بعد عازفة البيانو مع أوركسترا مينيابولس السمفونية الامريكية .. توفيت عام ٢٠٠٨ في امريكا بعد معاناة مع المرض بعمر ٨١ عام ..رحمها الله،

عن (مركز الوتر السابع)

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6099) السنة الثالثة والعشرون -
الاثنين (2) آذار 2026

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون